واقع العلاقات الدولية بين العالم الإسلامي والغرب في ظل المتغيرات الدولية الحالية

أ./ بلفراق فريدة

أستاذة بكلية الحقوق

-باتنة -

المقدمة

لقد ظل العالم الإسلامي زمنا طويلا يعيش خارج التاريخ مريضا، وعندما صحا لم يحاول أن يعرف حقيقة مرضه، لكنه كأي مريض هرع إلى الصيدلي يأخذ آلآف الزجاجات ليواجه آلاف الآلام، دون أن يتحقق فيما يأخذه من كمية الجرعات التي يتناولها من هذه الأدوية المختلفة التي لا يعرف مصدر صنعها .

فالمرحلة التي يمر بها العالم الإسلامي الحديث والمعاصر تستوجب التمعن والبحث عن الداء الذي أصبح وراثيا بحكم التكرار الزمني في انتقاله عبر الأجيال في قوالب فكرية مكدسة، لأنه لم يفكر تفكيرا صحيحا بل كان مندفعا بقوة لتقليد حضارة الاستعمار، مع اعتقاده بأنها المنفذ لهذه الأمة، مما أدى به إلى مواجهة مشكلات عديدة، أبرزها مشكلة التخلف أمام أعباء البناء الحضاري .

فخلال الحرب العالمية الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي ظهرت ما يسمى بلباقة الأمم المتحدة ويقصد بها أساسا الدول الغير متقدمة، إذ حاولت هذه الأمم المنبوذة المستغلة أن تصبح شيئا في نضالها المشترك ضد التبعية الاقتصادية والتكنولوجية التي تعوق على نحو خطير استقلالها السياسي .

فكثرت التحليلات التي كرست على الساحة الدولية لدراسة ظاهرة التخلف وأسبابها والعوامل المؤثرة فيها بمحاولة إعطاء حلول، واقتراحات لمعالجة أزمة الدول الضعيفة التي كان الغرب المتقدم أحد أسبابها الرئيسية، وأحد العناصر الفعالة في تعميق فجوتها، والدليل على ذلك بقاء كل التنظيرات والحلول حبرا على ورق، لأن مصلحة الغرب تكمن في خضوع هذه الأقطار وإذلالها حتى يتسنى له السيطرة والأخذ بزمام العالم، لذلك سعت الدول الغربية إلى تمديد عمر الأزمات، وإذكاء مسبباتها للاستمرار في فرض السيادة والهيمنة لأطول مدة ممكنة، وأمام هذا الموقف الغربي خاصة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء العالم المتخلف وعلى رأسها العالم الإسلامي، كيف يمكن أن يكون هناك تبادل للفهم، أو حوار حضارات مادامت موازين القوى غير متكافئة ؟ وما هي السبل الأنجع التي يجب على العالم الإسلامي أن يتخذها لاقناع الغرب بضرورة الحوار الصحيح وإعطاء الصورة الملائمة في عملية التبادل في كل الأبعاد السياسية، الاقتصادية، الثقافية، والاجتماعية ؟.

حوار الحضارات

إن المصلحة مغيرة خاضعة لما يمليه العالم، والعالم الآن هو للأقوى دون سواه، فهناك ربط بين الحضارة والحوار، ذلك لأن الحوار سمة إنسانية نبيلة تتجلى بالألفة والمودة وبالتعارف الذي يفضي إلى شراكة تتواءم فيها آليات المحاباة، وهناك من الحضارات ممن لا يحاور ويتم ذلك بمستويات تفرضها طبيعة الحضارة المؤيدة بأزمنة تاريخية ذات صلة بالمتغير الذي يحدث في الحضارة ذاتها، أو في الآخر من حولها.[1] ففي المستويات نجد حضارة لا تحاور الآخر بمفهوم يخضع لوجودها في الزمان بمتغير يجعلها حضارة استعلاء، كما هو الشأن في الحضارة الأوروبية الحديثة التي حصرت في

الزمـــان (ق20/19) وفي المكان إفريقيا وآسيا، باستبداد واستعمار بنيتـــه الصـــوت الواحد الذي يجب أن تخبو دونه الأصوات، وفي مستوى آخر نجد حضارة لا يمكنها أن تحاور لأنها أصيبت بخلل في بنيتها الأصلية فتغيرت فيها عناصر الإيجاب التي آلت بها إلى التقوقع والانكماش أمام الآخرين لأنها أصبحت ضعيفة كالحضارة الإسلامية العربية الآن[2].

في معنى الحوار الحضاري :

لا معنى لحضارة تعجز عن إيجاد إنسان يحاور ويناقش وينفتح علـــى العـــالم الأخرى بالحق والعـــدل، وإن ضعفت هذه العوامل أو صغرت، وقـــد قـــال المفكـــر الإسلامي مالك بن نبي : " لا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية "[3]

لأن الحضارة في الإسلام هي ثمرة التوازن الدقيق بين مرتكز القيم والمبـــادئ والأخلاقيات، ومرتكز الماديات والوسائل والمهارات عبر حركة الجهد الإنساني لعمـــلرة الأرض وفق منهج الاستخلاف الرباني[4]

ومن عوائق الحضارة التي تتحول إلى أصل في ماهيتها الطابع المستقبلي الـــذي يجعل البناء يسير في اتجاه واحد، ولعل هذا ما نراه في عصرنا (القرن الجديـــد) الـــذي تجسدت فيه مسوغات الحياة بزمن واحد (المستقبل) وبكيفية واحدة هي الحضـــور في الزمن بمركزية تلغي الآخر .

هذا يعني أن تكون الحضارة الآنية المسيطرة (أمريكا وأوروبا) قد عادت مـــن جديد إلى أنانيتها التي تجسدت في الماضي باستعمار الأرض، وتتجسد الآن بقهر يجـــبر الآخر على الانخراط في مركزية تنعته دوما بالرقم الأخير[5]

ومن المعوقات يتجلى أن الحوار قد يكون مغشوشا يعتريه الريب والظنون التي تؤول به إلى سلوك استهلاكي مسرح يبديه الظاهر الذي يضمر المكر، ومن حسن الدعوة إلى الحوار المسيحي الإسلامي المصحوب بسعي الفاتيكان الدؤوب لاقتلاع الإسلام من إفريقيا، ومن حسن الدعوة إلى الحوار العربي الإسرائيلي المصحوبة بسعي الأمريكان الدؤوب لاقتلاع الحصانة الروحية من الحضارة العربية الإسلامية [6] وذلك عن طريق ما يعرف بالاتفاقات الدولية لتسوية النزاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة، تحت مظلة الأمم المتحدة، وفي ظل الحداثة القلقة المتوترة, وفي العولمة المهيمنة الحالمة بمركزية عالمية , يصير الحوار أكثر تعقيدا، لأن أصحابه سيواجههم العالم من حولهم بالأسئلة الآتية :

- ماهي موضوعات الحوار التي يجادلون بها وقد غدا العالم المعولم قرية واحدة , بموضوع واحد هو الاستهلاك السريع في الثقافة وفي الصناعة ؟ فجمع بذلك العالم الأجيال ووحدهم, كما لم تتمكن أية قوة أو مؤسسة أخرى من توحيدهم في التاريخ 7، نظرا لما توصلت إليه العلاقات الدولية من تفاعل، وتطور هائل في كافة الميادين السياسية والمتمثلة في العلاقات الدبلوماسية بين الدول، وكذا الميادين الاقتصادية وما حصل من هيمنة الدول القوية أمام التبعية المفروض على الدول الضعيفة، وكذلك على المستوى الثقافي، حيث اكتسحت ثقافة العولمة بكل أبعادها السلبية والإيجابية أنحاء المعمورة وأصبحت ثقافة المجتمعات الغربية هي المسيطرة على عقول الجماهير الواسعة في العالم، أو ما يعرف بالغزو الثقافي.

صدام أم حوار:

" على مر التاريخ ومنذ ظهور الإسلام كمنظومة دينية وفكرية وحضارية، بل وواقع مادي بداية من دولة المدينة التي أسسها الرسول ﷺ, وحتى يومنا هـذا فـإن العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي أو الغربي, يميزها الصدام والمواجهـة , إذ بلغت ذروتها في الحروب الصليبية من جهة, والحوار الذي جسده بعض المفكرين مـن العالم الإسلامي بداية من ابن رشد من جهة أخرى، والذي أفضى تأثيره في الغـرب إلى تكوين ما يسمى بالمدرسة الرشدية اللاتينية, ومرورا ببعض المستشـرقين الموضوعيـين المعاصرين أمثال ماكسيم رودنسون, زعريد هونك, جاك بيرك, روجيـه غـارودي, وغيرهم، وهذا لم يمنع من ظهور بعض المفكرين الغربيين المتشبعين بالفكر الاستشـراقي غير الموضوعي والذين يفهم من كتاباتهم، أنهم يدعون إلى الصدام مثل: أرنيست رينان, وبرنار لويس, الذي يستشهد به هنتغتون في أطروحته عن صدام الحضارات[8]

وعن طرحه أيضا فكرة خطر الإسلام على المسيحية، والحركة الصهيونية ذلـك في الثمانينات عندما شاعت مقولة الخطر الأخضر الذي يمثله الإسلام على العالم بعـد زوال الخطر الأحمر الذي مثلته الشيوعية، وكانت لأحداث 11 سبتمـبر 2001 الآثار الواضحة في تعميق هذا الطرح وتجسيده في الواقع من طرف الغرب، فنعت المسـلمون والعرب على أنهم إرهابيون وكل ما يصدر منهم فهو عمل إرهابي .

وقد لعبت وسائل الإعلام الغربية دورا كبيرا في تأزيم العلاقة بـين العـالمين الإسلامي العربي والغرب، حيث استطاعت تلك الوسائل إلى إيجاد وعيا غربيا معاديا للإسلام

فعلى من تقع المسؤولية أمام هذه الصور القاتمة التي غرسها الغرب في أبـــناءه إزاء المسلمين والإسلام، والتي ترى في الإنسان العربي والمسلم التخلف، والدونيـــة، والعصبية والإرهاب؟ وبالتالي فهو عدو للحضارة الغربية.

نستطيع أن نقول أن الغرب ليس مسؤولا عن هذه الصور، بل العبء الأكـبر يقع على المفكرين العرب الذين وضعوا أنفسهم داخل سياج معرفي وفـــق أطروحـة "أركون " ولم يحاولوا الخروج منه ويخترقوا الغرب من داخله، وربما يكـــون " محمـد أركون " استثناء في ذلك، لأن عقدة التفوق الغربي جعلت الكثير يخاف من مواجهـــة الغرب وخاصة وأن الغرب هو نموذج التقدم والتطور والحداثة .

ومن جهة ثانية شكل التراث العربي الإسلامي لكثير مـــن مفكرينـا عبئـا ثقـيلا في ذلك، وتحولنا في كثير من الأحيان إلى كائنات تراثية [9]

إن التلاقح الحضاري يعد ظاهرة صحية، إذا ما تمت في ظـــروف فيـها مـن التكافؤ والثقة بالنفس ما يجعل عملية الأخذ من الآخر لا تحصل في إطار الاســـتلاب وفقدان الهوية، وربما تكون من منطلق الإثراء والبحث عن الحكمة التي هـــي ضالـة الإنسان الذي أنى وجدها اعتبر نفسه الحق الناس بها[10]

" إن العرب والمسلمين اليوم لا ينتجون وسائل الحضارة الإنسانية الحديثـة ولا علومها ولا فلسفتها، بل نجد الشعوب الإسلامية تبحث عن مشروع حضاري جديـد لا يمكن للإسلام إلا أن يكون في قلبه "[11]

قصة مرض طويل:

إن الظروف التي احتك فيها الإسلام بالحضارة الغربية تختلف تماما عن الظروف التي احتك فيها بالحضارات الأخرى قبل ذلك، فالحضارات الرومية، والفارسية، والهندية، والصينية صادمت الإسلام في وقت كان هذا الدين مسيطرا بكل معنى الكلمة على القوى الفكرية والعملية في متبعيه, وكانت روح الجهاد والاجتهاد قوية فيه , وكان المسلمون أمة غالية في العالم من الجهتين الروحية والمادية، يحلون من أمم العالم محل الصدارة والزعامة، لذلك لم يكن لحضارة من تلك الحضارات أن تدافعهم وتثبت أمامهم، فحيثما ذهبوا أحدثوا انقلابا في أفكار الأمم ونظرياتها وعلومها، وأخلاقها، وعاداتها، وأسلوب تمدنيها وكانوا أحرى بالتأثير في غيرهم من أن يتأثروا بهم [12].

و على الرغم من أن المسلمين الأوائل صانعي الحضارة الإسلامية أخذوا أشياءا كثيرة من غيرهم لكن كان لهم من القوة ما جعل كلما من دخل فيها اضمحل وذاب في قوالبها، فمن الحضارات غير المسلمة ما انحلت في الإسلام، والتي كانت قوية تأثرت به إلى درجة أن كثيرا من مبادئها طرأ عليها التغيير، على حد تعبير أبو الأعلى المودودي: "حدث هذا في زمان كانت الأمة في روح الشباب، فالروح فتية والعضلات قوية والهمم تناطح السحاب[13]

الحوار بين الإسلام والغرب :

" كأن الإسلام والحضارة الغربية سفينتان تجريان في جهتين متعاكستين، فمن ركب إحداهما هجر الأخرى، ومن أبى إلا أن يركبهما في الوقت الواحد فاتتاه معا، وانشق بينهما نصفين "[14]

ومن المصادفات الغريبة أنه لما بلغت فيه حضارة الغرب أوج كمالها المادي كان ذلك هو قرن سقوط مملكة الإسلام من الشرق إلى المغرب الأقصى، بعد أن تغلبت عليها الأمم الغربية في شتى الميادين السياسية، والعلمية، والعسكرية، فانسلقت العقول الإسلامية نحو بريق المدنية والانبهار بالفلسفة والعلوم الغربية، وتدهورت حال الشعوب الإسلامية عندما دخلت تحت حكم الدول الغربية تحت ما يعرف بالاستعمار الأوروبي، فوجدت نفسها مضطرة بعد سنين طويلة إلى الاضمحلال والتبعية للحفاظ على مصالحها الدنيوية وتحصيل علوم الغرب .

وعن حديث فوكوياما عن الإسلام كايديولوجية مطروحة لمنافسة الديمقراطية اللبرالية يقول : "لكن يبدو أنه من الممكن استثناء الإسلام مبدئيا على الأقل من هذا الحكم العام حول الايديولوجيات المنافسة للديمقراطية، فالإسلام يشكل ايديولوجية متجانسة ومنتظمة، مثله في ذلك مثل الديموقراطية والشيوعية، مع دلالته الخاصة في الأخلاق ومذهبه في السياسة والعدالة الاجتماعية .

وقد هزم الإسلام في الواقع الديمقراطية الحرة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي موجها تهديدا خطيرا للممارسات ذات بال .

و قد شهدت نهاية الحرب الباردة في أوروبا تحديا ساخرا للغرب من قبل العراق الذي يشكل الدين الاسلامي عاملا هاما في تكوينه الايديولوجي[15]

سواء هذا الشرق أو الغرب، وهذه الأمة المسلمة أو غيرها من الأمم، فقد حلت بها جميعا نكبة واحدة هي أنه قد استولت عليها حضارة نشأت في أحضان المادية الخالصة، هذه الحضارة قد أسست حكمتها النظرية والعلمية على قواعد خاطئة، وقد جرت فلسفتها، وعلومها وأخلاقها، واقتصادها، واجتماعها، وسياستها،

وقانونها، وبالجملة كل ما يتصل بها، وقد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة، وبقي يخطو ويرتقي في وجهة غير صحيحة، حتى انتهى إلى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة وهي الهلاك قريبا[16]

في لقاء مع مندوب وكالة (أورنيت برس) قال فرنسين فوكوياما بعد صدور كتابه نهاية التاريخ: لقد حققنا في أميركا أضخم انتصار مع نهاية القرن العشرين، إبلدة الشيوعية، وسحق العراق ولا أحد يشك الآن في أن أميركا هي زعيمة العالم نحن الأقوى والأعظم [17]

وللحق فلم يدّع فوكوياما أنه قد ابتكر لعبة جديدة على غرار (أكون أولا أكون) أو هل أنا (منتمي أم لا منتمي)، وإنما هي فقط إعادة قراءة في أعمال هيغل وكوجيف هي فقط ملاحظة بأن الديمقراطية اللبرالية قد غزت أرجاء العالم بكنوز اقتصاديات السوق، وهي فقط ملاحظة بأن الماركسية قد أفلست، ... لقد انتصرنا، هكذا هتف فوكاياما[18].

وفي الواقع لقد انتهى التاريخ –فلسفيا –مرات عدة قبل ظهور فوكوياما بداية من القديس أوغسطين، وفكرته عن مدينة الله، وعند ميكافيللي في عصر النهضة وفكرته عن الأمة، ونور العقل لفولتير، وطبيعة الإنسان الاجتماعي واللاجتماعي عند كانط، وكمال الدولة البروسية عند هيجل وهذا بالاضافة إلى المجتمع اللاطبقي عندما ماركس[19]

أزمة العالم المتخلف واللاتكافؤ في الحوار :

في مقال نشر بتاريخ 1954/08/14 في جريدة L'observateur (المراقب) والمعنون ب trois mondes une planète (ثلاثة عوالم وكوكب) لصاحبه البير صوفي arbert savry ظهر للوجود ما يعرف بمصطلح العالم الثالث

عندما صرح المؤلف قائلا : نتحدث عن وجود عالمين بحروبهما الممكنة، بتعايشهما ...الخ متناسين في أغلب الأحيان وجود عالم ثالث، ذو أهمية قصوى والأول في الوقت الزمني، وهذا العالم هو ما يسمى بلباقة الأمم المتحدة، وهي الدول الغير متقدمة[20]

فالعالم الثالث كان يعرف باسم الدول النامية، إذ لم يستعمل المصطلح في معنى واحد بسبب أن تلك البلدان لم تكن مجموعة متجانسة لأنها تختلف من حيث مستويات تنميتها وظروفها الاقتصادية، والسياسية، وعلى غرار هذه الاختلافات أدرجت عدة تعريفات خاصة لهذا العالم :

1- **تاريخيا**: يقصد بها تلك الدول الحديثة الاستقلال والتي غيرت هيكل المجتمع الدولي بازدياد عدده ونوعيته .

2- **اقتصاديا**: هي تلك الدول العاجزة اقتصاديا، من جراء التخلف وسوء التنمية

3- **جغرافيا**: موقع معظم تلك الدول في جنوب الكرة الأرضية (إفريقيا-آسيا - أمريكا اللاتينية)

4- **سياسيا**: تشكيل هذه البلدان في بداية عهدها ما يعرف بحركة عدم الانحياز عندما كان الصراع محتدما بين القطبين الأمريكي والسوفيتي .

5- **قانونيا**: يقصد بها مجموع الدول الغير متكافئة في المراكز القانونية مع الدول المتقدمة لعدم قدرتها على اتخاذ القرارات .

فيظل أنسب تعريف للبلدان النامية هو أنها مجموعة من الدول الغير متجانسة وتختلف فيها درجات التنمية حسب الظروف السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، إلا أن هناك هدف مشترك يجمعها ويتمثل في النضال ضد تبعيتها الاقتصادية، والتكنولوجية التي تفوق على نحو خطير استقلالها السياسي[21]

وعلى أية حال فان الدارسين لظاهرة التخلف في العالم الثالث لم يخرجوا عن إطار الأسباب العامة أو المشتركة لتلك الدول وأرجعوها للأسباب التالية :

1- ارتفاع المواليد وازدياد عدد السكان، مما انجر عنه ضعف في المستوى المعيشي، أو كما حلله المفكر "غاستون بوطول Gaston Boutoul قائلا: العالم يتقلص والبشرية تنتفخ، ولسنا مجبرين على انتظار الانكسار، والكارثة الكبرى لأن هناك عاملين أساسين أديا إلى سرعة التاريخ .

1-ضيق كوكبنا الأرضي المتمخض عن التقدم والرقي في المواصلات، والعلاقات البشرية .

2-التزايد المستمر والسريع لعدد الناس، فسكان العالم كان عددهم مليارين في سنة 1990 وقد تحول إلى ستة ملايير في عام 2000 (22)

3- سيطرة الأجانب على الاستثمارات الكبرى أمام عملية تصدير منتوجات الدول المتخلفة الصناعية كالبترول والزراعة .

4- ضآلة الدخل الوطني ولجوء الدولة إلى الضرائب .

5- تفكك الاقتصاد وعدم المسايرة الآلية للاستهلاك، والمخطط المصرفي مما يعرضه إلى التعطل والشلل .

تلك النقاط الأربعة أوردها francois perrou في أعماله من 1950الى 1955 وسماها (الأربع الحلقات المفرغة). وقد تلته أعمال W Rostow في 1960 تحت عنوان (سبب التأخر في النمو) حلل فيها المراحل التي يتم بها التدرج الاقتصادي لكل بلد بصفة عامة لوضع معيار الموازنة وعددها بخمسة مراحل ألا وهي:

*- المجتمعات التقليدية

*- نقطة التقاطع لتهيئة الانطلاقة.

*- الانطلاقة الاقتصادية .

*- السيرورة نحو النضج.

*- عهد الاستهلاك العام والواسع.

وسوء التنمية هو في الحقيقة تأخر في نمو العلاقات بين الدول الغنية والفقيرة , التي كان بإمكانها تعجيل تطوير وتنمية هذه الأخيرة لو أرادت, ودأبت على تحويل الرساميل والمعارف التكنولوجية[23]

لكن هذا لا يكفي لوحده أمام إرادة ميتة , وهمة ذابلة للشعوب المتخلفة التي لا تريد النهوض, ولا الاجتهاد في الحياة, غير آبهة أو واضعة في الحسبان قيمة الوقت والمال وكرامة الإنسان, ولا أضن أن الغرب يستطيع إيقاض العقول والضمائر, التي لا تزن الأمور بمكيال المنطق والعلم.

فكيف يمكن لرساميل وتكنولوجية أوروبا تغيير المفاهيم الخاطئة، واجتثاث الاعتقادات الفاسدة؟

كيف لها أن ترسخ مبدأ الاجتهاد وحب العمل في أمة لا تدرك قيمة الوقت, فهناك جدلية قائمة وتناقض صارخ لا يمكن أن يتلاقى فيهما الغرب اليقض المتحمس والعالم النائم المتجبس, وقد تعرض لهذا الموضوع المفكر G Myrdal في أعماله بتاريخ 1970 تحت عنوان " التبادل الغير متساوي"، جاء في تقريره أنه منذ 1950 والتبادلات التجارية في تزايد في القيمة بين الدول الغنية , بينما هي في تناقص مستمر بين الدول المتقدمة والفقيرة, لأن الفقراء يبيعون منتجاتهم بأقل سعر, أما الأغنياء فيبيعونها بأكثر الأسعار وذلك راجع للأسباب التالية:

- أنظمة سياسية دكتاتورية.
- الفساد العام .
- تهريب الراساميل
- تحويل المساعدات.
- استثمارات غير صالحة.
- تغيير التوجهات نحو المصالح عن طريق التقليد والمحاكاة للـــدول الصناعيـــة , والقيام باسترداد مواد باهضة الثمن.[24]

بالإضافة إلى ذلك فإن الأوضاع السيئة التي تزداد فيها الدول الضعيفـــة حرمانـــا وبؤسا أدت إلى فقدان الإنسان كرامته وانزلقت على أثره البشرية نحو الدرك الأسفل، في زمن تتصارع فيه الجدليات بشتى أنواعها ومراكز قوتها, حينما يفرح العالم وتـــأخذه الغبطة لانتصار الإنسان على الطبيعة وسيطرته التامة عليه, بما حققـــه مـــن إنجـــازات عظيمة تفوق التصورات, بينما تئن شعوب بعض إن لن نقل معظم دول العالم المتخلـف تحت وطأة الاحتياج لضرورات الحياة, فهناك في أدغال إفريقيا, وأوحال آسيا وأغـــوار أمريكا اللاتينية من يموت جوعا، بينما يموت الأوروبي تخمة , فتقام هنـــالك مصـــانع كبيرة لصنع غذاء القطط والكلاب, وتغلق هنا مصانع وتهدم ورشات الدول المتخلفـــة لتصنع بؤس وشقاء وهلاك الأطفالها .

فنقطة الالتقاء منعدمة, ولا يمكن وضع أية موازنة, كما لا ينبغي في ظل هـــذا الوضع إيقاع اللوم على الغرب وتحميله كل أوزار الأمم المتخلفة وبصفة مطلقة, لأنهـــا هي السبب الحقيقي فيما وصلت إليه من انتهاك لحقوق الإنسان في هذه المنـــاطق, لأن

حقوق الإنسان اعتبرت منذ القديم نتاج كفاح للمحافظة على الحرية, الأمن والاستقرار المادي والمعنوي للفرد كما أنها تبلورت مرة ثانية في الاعتراف بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية, ويبقى ذلك منوطا بالدور الذي تقوم به الدولة التي لها وظيفة المحافظة على هذه الحقوق بالدرجة الأولى والأخيرة [25]

إن العيب فينا وفي بنائنا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي.

فمشكلة العالم الإسلامي هي في حقيقتها مشكلة تخلف، وليس مشكلة أن الغرب نصب العداء للإسلام، أو كرهه الشديد للمسلمين بسبب أزماتنا, بل المسألة تتعلق أساسا بأسباب التشرذم والتشتت العربي الإسلامي، وليس البحث عن الأسباب التي جعلت الغرب يتخذ منا هذه المواقف العدائية.

فمشكلتنا أننا نواجه الغرب كدولة منفردة وليس كعالم عربي أو عالم إسلامي له نفس التصور واستراتيجية موحدة، أضف إلى ذلك التخلف العلمي والمعرفي والتكنولوجي، فالغرب الآن يعيش مرحلة معرفة جديدة أو ما يعرف بما بعد الحداثة ونحن لم نتمكن بعد من الوصول إلى الحداثة، فمنذ عصر النهضة ومنذ جيل جمال الدين الأفغاني والطهطاوي وشكيب أرسلان ونحن نتحدث عن النهضة والحداثة ولكن إلى حد الآن لم نستطيع أن نخطو نحوهما خطوة واحدة .

فلماذا يعتقد "هنتغتون" أن المستقل سيكون صراعا وليس حوارا، وتعاونا، أو تفاعلا، وتواصلا إيجابيا بين الحضارتين وباقي الحضارات الأخرى ؟ يجيب هذا الأخير بأن الفروق بين الحضارات ليست فروق حقيقية فحسب بل هي فروق أساسية من أهمها التاريخ، واللغة، الثقافة التقاليد، وخاصة الدين، فالصراع حسب هتنغتون يتمثل أساسا في الدين الإسلامي، و ليس دينا أخر وهذا ما يخشاه الغرب والحقيقة أن

هنتغتون محق في استنتاجه لأن العلاقات العربية الأوروبية أو العلاقة بين الأمة الإسلامية والأمم الغربية لم تكن إلا علاقة حروب، والتاريخ يؤكد لنا ذلك من خلال الحروب الصليبية التي مازالت في الأذهان والاستعمار الأوروبي الذي كانت أهدافه مادية اقتصادية، ولكن محتواها كان قائما على فكرة طمس الانتماء الديني أو العقيدي والثقافي للشعوب المستعمرة، ومحاولة نشر المسيحية عبر المناطق المحتلة " وقد بينت أحداث 11 سبتمبر هذا الصراع عندما أعلن بوش الابن ودعى إلى حرب صليبية .

علاقة الشرق غرب ونظرية المركز والمحيط:

إن الاستقلال السياسي لم يتم انتهاكه إلا في حالات محدودة عن طريق عودة طواقم الجنود الاستعمارية إلى أراضي البلدان المستقلة، إلا أن الاستقلال الاقتصادي الذي هدف أصلا للاستقلال السياسي بقي سرابا وانتهت الأمور بعملية ربط اقتصاديات البلدان المستقلة بآليات الاقتصادية الرأسمال الدولي، وأصبحت تلك الأقطار تلحق في القاطرة العملاقة التي تملكها ونقودها أساسا الاحتكارات الرأسمالية كما كان الأمر من قبل[26]

وعلى هذا الأساس استمرت المشكلات التي عان منها العالم المتخلف بعد الاستقلال مثال الانفجار السكاني المجاعة، الأمية، التدهور على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية أمام مسخ أو تقزيم كل النشاطات الداخلة في إطار التصنيع الوهمي الذي اشتغلت الشركات الكبرى والدول ذات المصالح في تدوير آلته نحو مراكزها، وتضيق الخناق والهيمنة على السوق العالمية لغرض أسلوب التبعية التكنولوجية لدفع الدول الضعيفة إلى سلم المديونية المرهق، مما

أدى بها إلى الوقوع بشكل مضمون في شباك التبعية لأصحاب الرساميل في المراكز الاحتكارية الدولية .

وقد أرجع بعض المحللين الاقتصاديين أسباب التخلف التي لعبت دورها في الوضعيات السيئة التي تعيشها البلدان المتخلفة، والظروف الصعبة التي تزداد يوما بعد يوم إذ أدى ذلك إلى ردود أفعال تمثلت في ظواهر متعددة مثل هجرة الأدمغة إلى الغرب، والتي ساهمت بأي حال من الأحوال في عرقلة النمو الاقتصادي، الاجتماعي مبررة هجرتها بدعوى الضغوط، والمضايقة السياسية والاقتصادية، واعتراض سبل البحث العلمي ماديا ومعنويا، ولم تكن الهجرة مقصورة على العلماء وإنما امتدت لتشهد مختلف الطبقات المنتجة التي تجد العوامل المريحة تتهيأ لها في الدول الغربية، وهو ما تفتقده في بلدها الأم، كما أن هجرة رأس المال إلى جانب هجرة الأدمغة أديا إلى تعزيز اقتصاد الدول المستقبلة لها، وبذلك دب عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في بلدان العالم المتخلف وتقهقرت كل موازين التنمية[27]

ونظرا لما يضعه اللوبي الرأسمالي من حواجز أمام انعدام العمالة المؤهلة، وفقدان رأس المال، والقدرات العلمية والتقنية، كذلك التبادلات التجارية الضعيفة بين الدول المتخلفة، وعدم استعمال إمكانياتها الإنتاجية إلى جانب سوء التوظيف والبطالة الحادة، كل هذه المعطيات سارعت في تدهور استثماراتها الصناعية والتي حاولت النهوض بها للدخول في معترك التنمية إلا أن غلاء العمليات الإنتاجية التي قامت بها مؤسساتها التي هي معرضة للعجز التام، والمشاكل التي واجهتها راجعة في حقيقتها إلى النظام الاقتصادي الدولي المهيمن عليه من الدول الرأسمالية المتقدة[28]

إن مأساة العالم الثالث تكمن في تخليه عن مكانته الأصلية واندماجه رغم إرادته أو بايعاز من حاكمه العالم الرأسمالي بدون تأقلم تاريخي مسبق، والمناهج المفروضة عليه، والتي يسعى إلى تطبيقها على الظروف التي ليست لها علاقة أو ارتباط بالميادين الطبيعية والإنسانية، أو حتى تركيبته السياسية، فالعالم المصنع الذي يشجعه على مواجهة الوضعية الاقتصادية والعلمية والزراعية الغذائية، والعسكرية ليس سوى أسلوب يهدف من وراءه إلى جعله تابعا يستلهم كل متطلباته في التنمية، من نقطة الارتكاز التي تعد المحور الوحيد في تسيير الثروة العالمية، وبصفة عامة فان دول العالم الثالث تنصلت من ماضيها بالسعي للحاق بالغرب على الرغم من كونه لا يتلاءم والنظام الاجتماعي السياسي والتقني، والاقتصادي للدول المتخلفة[29]

وقد دأبت المجموعة الأوروبية من خلال الحركة التاريخية الغير متوازية بين العالمين الغني والفقير القوى والضعيف، المستغل والمستغل إلى وضع إطار عام للمعاملات بين هذين العالمين في شكل حلقة دائرية كبيرة يكون خط انطلاق وعودتها مركز واحد يعد المحرك الأساسي لتلك الدائرة .

فيما يتعلق بالمبادلات التجارية، فإن هيمنة المركز لا تعتبر النتيجة لصادرات المحيط التي تعتمد على المواد الأولية، كما تدعيه النظريات السياسية، فهناك عدد آخر من البلدان كانت مصدر لمواد أولية مثل (كندا – استراليا) ومازالت تواصل تلك العمليات لأن المواد الأولية لها مكانة أساسية في عملية التصدير لعدد كبير من الدول المتطورة (كالقمح – الخشب – الفحم) دون أن تكون في يوم من الأيام متخلفة إذ أن تلك السيطرة تمخضت عن كون اقتصاديات المحيط لم تكن سوى إنتاج للمواد الأولية ليس إلا، بمعنى أن ذلك الإنتاج لم يدمج في تركيبة صناعية ذاتية محلية، مما أدى

بدول المحيط إلى إحداث خلل في توزيع وتسيير تجارتها مع المركز في حين تقوم الاقتصاديات المركزية على أهم التبادلات التي تستفيد منها في بلورة العملية الإنتاجية التقنية منها والصناعية .

فهذه الاختلافات في التركيبة هي التي تحمل في طياتها علاقات القوة الغير متساوية التي تبلورت في شكل تنمية متنوعة للعمل أثناء التطور الرأسمالي في غير صالح المحيط، فالتجارة مع المحيط تشكلت في القرن التاسع عشر بنسبة عالية لمجموع التجارة المركزية قبل الثورة الصناعية شكلت تلك التجارة نفسها الجانب الأساسي للدول الأوروبية والمبادلات البحرية، ولعبت دورا حاسما في التراكمات البدائية، وقد واصلت تلك التجارة لعب الدور المهم فيه بعد الثورة الصناعية[30]

يرى المحلل الاقتصادي سمير أمين أن الاستقرار العام للنظام الرأسمالي يفتح سبيلين، إما أن تشغل الشعوب وتستفيد بالقسط الأقصى بترقية متطلباتها باتخاذها أسلوب القطيعة مع النظام العالمي أو الظهور بزي جديد بقيام المركز بإمداده بأشكال من الاندماجات مع المحيط الذي سيعطي أبعاد تاريخية[31]

فالتاريخ يبين أن الدول المنعوتة بالمحيط والتي أصبحت وظلت متخلفة لم تستفد من احتكاكها بالسوق العالمية بواسطة الأرباح المخصصة دوليا[32]

فمنذ أن أصبحت الرأسمالية إمبريالية، تمدد مفهوم الهيمنة الاحتكارية على المستوى العالمي وأدى ذلك إلى نوع من التناقضات في كل الحركات الثورية آنذاك، وقد تبين ذلك الاختلاف الجذري في ظهور النزاع بين القوى الرأسمالية والقوى الاشتراكية سابقا، والتي اعتمدت على إيجادها في مجموع النظام الرأسمالي العالمي الذي عكس رأس مال الدول المركز الإمبريالي المتطور بالشعوب المستغلة للمحيط المهيمن عليه .

لذلك اعتبرت الدول الاشتراكية آنذاك العدو الأول، والخطر المحدق بكل المصالح الحقيقية للغرب أو الدول الاحتكارية , وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إذ أن أحد أهدافها في السياسة الخارجية كان منع امتداد وانتشار المد الاشتراكي على المستوى الداخلي، وتأثيره في البلدان السائرة في طريق النمو, لذلك اتخذت كل الطرق والوسائل للحيلولة دون ذلك حتى وان كان باستعمال القوة العسكرية , وتوظيف المخابرات (CIA) وتدبير الاغتيالات السياسية , إذكاء نار الحروب الأهلية, والتداخل العسكري المؤقت، بالإضافة إلى الفساد واستغلال المواقف الداخلية المضادة لكل البلدان التي تحاول وضع عراقيل, أو توسيع المصالح الكونية لدى أمريكا والعالم الحر[33]

صراع نحو التخلف أو الحوار مع الأقوى:

يرى أحد المحللين أن التخلف الاقتصادي, الاجتماعي والثقافي الناتج عن نشاطات تعود إلى التراكمات البدائية للرأسمال من زاوية الاستعمار أدت إلى تقهقر المجالات الاقتصادية التقليدية للدول المستعمرة, وان الاندثار السوسيولجي الاقتصادي النابع من مجتمعات العالم المتخلف تسبب في رداءة وانحطاط كل النظم .

كما أن الانتعاش ورفع المستوى الاجتماعي المتردي العائد إلى الاعتقادات الفاسدة والعادات المنحدرة من الماضي, التي لا تتطابق ومقتضيات التقدم الغير مفهوم لدى الشعوب المتخلفة، تحت تأثير الهيمنة السياسية, والاستغلال الاقتصادي , والاستيلاء الثقافي, وقد تلخصت خصائص العالم الثالث في عناصر أهمها:

- الديكتاتورية العسكرية الفوضوية.

- التبعية الاقتصادية السياسية والثقافية للقوات الإمبريالية .
- النمو الديمغرافي المستمر, مقابل معدل النمو في المجالات الأخرى.
- تمركز طبقة شعبية كبيرة في الأحياء القصديرية والتي تزداد كالفقاقيع حول الساكنات العمرانية .
- سوء المعيشة وشروط الحياة القاسية, كما ونوعا مع اللامساواة الاجتماعية , المادية والمعنوية .
- فساد السلطة, والطبقة السياسية الحاكمة المنبثقة لإدارة الشعوب الراضخة لاستفزازات البيروقراطيين الغير مؤهلين وانعدام المسؤولية, أو الرقابة الإدارية[34]

فقد أصبحت تبعية العالم المتخلف للغرب ضرورة حيوية تعلقت فيها الشعوب به تعلق الغريق بالقشة, وانجر عن التبعية الاقتصادية, نشوء تابعيات أخرى في الميدان السياسي والثقافي, حيث انساقت أمم وشعوب تشرئب نحو العالم المتقدم، وتأخذ أفكاره مأخذ التقديس والتمجيد بمحاولة التقليد والمحاكاة لكل ما يعد غربي حتى ولو كان على حساب مقومات أساسية وطبيعة مميزة لأي شعب من هاته الشعوب.

فالنظم السياسية في الدول العربية والإسلامية تحاول استراد النماذج الغربية بشتى ألوانها, وتقوم بتطبيقها على واقعها السياسي بكل ما أوتيت من قوة وسلطان , محتذية بالسياسة الأوروبية رغم المعرفة الجيدة بفارق الكفاءات, والمؤهلات وحتى الطبائع الإنسانية في حد ذاتها, والتي تختلف كثيرا مما يوقع سياسة الدول المتخلفة في الغباء السياسي الذي يؤدي إلى فقدان المصداقية من جهة والظهور بمظهر الخضوع

والتبعية للغرب من جهة أخرى, وهو بدوره يؤدي إلى عدم الاستقرار لوقوع شرخ كبير في جدار السلطة والأمة.

أما فيما يخص التبعية الثقافية أو كما يسميها الكاتب سمير أمين الاستلاب الثقافي أو كما عبر عنها ابن خلدون بنظرية الغالب والمغلوب, إذ أن معركة الحياة تقتضي في المهزوم اتباع المنتصر بحكم معطيات القوة والهيمنة التي يظهر بها كل من كانت له الغلبة , وقد حلل ابن خلدون المجتمعات الإنسانية إلى طوائف وأنماط , تختلف عن بعضها البعض بشكل يلفت الانتباه.

حيث ذهب في أراءه إلى وجود صنف معين من البشرية ميزته الفطرية السذاجة التي تجعل منه طيع وقابل للاستعمار, بما يعرفه مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار، والاستغلال من أي كان نظرا لتركيبته الطبيعية المتسمة بعدم الجد والصرامة , والميل نحو المرح والسهولة بما يخول للأصناف الأولى أو بالمعنى الصحيح الأجناس المغايرة له التمكن منه, ولسوء حضها وقعت هذه الأجناس على حسب تقرير ابن خلدون في بلدان العالم الثالث الذي لم يكن يعرف بهذا التقسيم أو التسمية.

والتبعية الثقافية هي نتيجة حتمية للتبعية السياسية والاقتصادية خاصة, وهي ظاهرة تبدو في أول الأمر غريبة في بوادرها وتسربها حول الحدود السياسية ثم ما تلبث أن تصبح جزءا من المجتمعات لا يمكنها الاستغناء عنها، وبذلك يحقق الاستعمار انتصارا بطريق غير مباشر, بل أخطر من التدخل العسكري, لأن الغزو الثقافي له تأثير بالغ في النفوس يلجها من حيث لا تعلم وعبر نقاط الضعف، ولسد الفراغات المنتشرة في المجتمع يعمل على ضرب الأمم على الوتر الحساس , فيستدرج الطاقات الحية من الشباب المستضعف, المتطلع إلى بهجة الغرب واغراءاته.

إن الإنسانية تربطها أخوة الطين وأراد خالقها أن يبث فيها أخوة الدين[35]

ومع ذلك فالإسلام لا يعنى العروبة، والقضية العربية ليست قضية إسلامية، لأن في العرب مسلمين وغيرمسلمين، ولأن القومية غير الدين، وإلا لوجب أن يؤلف المسلمون في العالم كله قومية واحدة ووطنا واحدا، وأن يؤلف المسيحيون بدورهم قومية واحدة ووطنا واحدا، وهذا مغاير للحقيقة والواقع[36]

وخير دليل على ذلك تركيا المسلمة في يوم ما من تاريخها الطويل ولحد اليوم هي تحتضن اسرائيل تلك الأفعى اليهودية التي أرادت أن يتم لها السيطرة على شعوب العالم، فكانت بعيدة النظر حين قررت توجيه رأسها إلى الأسيتانة مقر الخلافة الإسلامية بعد تكاثر اليهود في تركيا على اثر طردهم من اسبانيا في القرن الخامس عشر، ولقد أثبت التاريخ أن الدغات اليهودية في معقل الخلافة الإسلامية قديم بدأ منذ عهد السلطان مراد الثاني، ومن بعده محمد الفاتح في 1481م الذي اغتاله طبيبه اليهودي يعقوب باشا بالسم، كما ثبت اغتيال أولاد السلطان سليمان القانوني وأحفاده الصغار بتدبير خليلة سليم الثاني اليهودية، واستمرت مؤامرات اليهود وتغلغلهم في دوائر الخلافة العثمانية وهدم المعقل الإسلامي على يد مصطفي كمال تاتورك[37]

إن الأمة التركية ومن معها من اخوة الدين الحاملين لراية الإسلام منذ ألف سنة جعلوا الأمة الإسلامية قاطبة ممتنة لها ببطولتها وصانوا الوحدة الإسلامية، ونجوا البشرية بالقرآن العظيم وحقائق الإيمان من الكفر المطلق والضلال الرهيب، فإن لم تتبنو حاليا ببسالة كالسابق الحقائق القرآنية والإيمانية، وإن لم تقوموا وانتم أهل الغيرة بالحث على الحقائق القرآنية والإيمانية مباشرة بدل قيامكم خطأ في عهد سابق بالدعاية للمدنية الغربية وإضعاف الروح الدينية فان أحذركم وأنذركم قطعا وأبين ذلك بحجج

قاطعة أن العالم الإسلامي سينفر من هذه الأمة بدلا من أن يوليها المحبة، بل سيضمر العداوة لأخيه البطل الأمة التركية، وسيقهرون أمام الفوضى والإرهاب الذي يتستر تحت ستار الكفر المطلق الذي يسعى لإبادة العالم الإسلامي(38)

وعلى ذلك الدرب سارت تركيا مسيرة وفق ما يخطط لها من إسرائيل ولو بطريق غير مباشرة لضرب القومية العربية، كما كانت تشترك بالأمس معها ومع بريطانيا وفرنسا للتآمر ضد العرب، فهي اليوم تعمل على ضرب المصالح العربية بخلقها مشاكل إقليمية وأكبرها مشكلة المياه في منطقة الشرق الأوسط .

فشوكة الإسلام كسرت بأياد كثيرة، منها الصهيونية، والأوروبية الغربية على رأسها أمريكا والعربية الإسلامية نفسها انطلاقا من المعطيات التاريخية والأحداث التي مرت عبر المراحل الزمنية الشاهدة على كافة التدرجات والتطورات، ثم التوقف والتراجع إلى الوراء، وهذا يحيلنا إلى تساؤلات كبيرة ومتكررة عبر التاريخ وخاصة الحديث منها والمعاصر والتي مفادها كيف بدأت المأساة، وكيف سقط العالم الإسلامي؟ وكيف غاب عن التاريخ ؟ وكيف فقد القدرة على تقرير المصير؟ ولماذا لم يعد يشترك في صناعة الأحداث ؟ بل لم يعد يدرى ماذا يحدث له، بعدما أصبح مصنوعا ولم يعد صانعا، يخطط له وينفذ فيه وهو لا يدري حقيقة أمره.

وكيف قفز الغرب إلى دفة قيادة التاريخ وصناعته؟ متى حدث ذلك؟ وهل له بداية وعلامات دالة عليه؟.

هذه كلها استفسارات لا يمكن أل الإجابة عنها في هذه العجالة، لأنها تقتضي مقالات ومجلدات ودراسات مستفيضة تتعلق بأسباب تخلف العالم الإسلامي .

فالعالم الإسلامي سقط وتضرج بدمه في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بسقوط اشبيليا عام 1248م وتلاه بعد ذلك انكسار جناح العالم الإسلامي أمام الجناح الغربي الذي كان تحت الاندفاع الإسباني في حروب الاسترداد، والجناح الشرقي تحت الزحف المغولي المرعب، فكانت الكارثة التي لم يرفع بعدها المسلمون والعرب رأسا إلى اليوم(39)

والملاحظ أن كل شعوب العالم المعتصمة بدنيها ومقوماتها، وأصالتها الموروثة لا تنعت بالإرهابية أو الرجعية، أو المتخلفة إلا المسلمين، فجميع هؤلاء الخلائق تقدموا، وارتقوا، وعلوا وطاروا في السماء على حد تعبير شكيب أرسلان، والمسيحي منهم باق على إنجيله وتقاليده الكنيسية، واليهودي باق على وثنه وأرزه المقدس وكل حزب فرح بما لديه، وهذا المسلم يستحيل أن يرقى إلا إذا ما رمى بقرآنه وعقيدته، ومأخذه ومنازله ولباسه ولحيته التي هي علامة نبل للأوروبي، وعلامة إرهاب وغبن للمسلم، الذي انفصل، عن تاريخه، فإن لم يفعل كل ذلك فلا حق له من الرقي، والتمدون(40)

هذا ما خلفه تغاضي العلماء، وابتعادهم عن مهامهم النبيلة، وما عاناه العالم الإسلامي من جهل جماهيره، وجمودها، فحرمت الأمة من معرفة حقيقة أن دينها للدنيا والأخرة وهي الميزة التي ينفرد بها عن كافة الأديان، فأورثة الأمة الفقر والانحطاط في الأرض، بينما ارتقى غيرها إلى السماء وتملك الغرب رقاب العرب فضلا عن ثرواته التي لا يفقه استغلالها ونسي قول الله تعالى :"وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض " وقوله أيضا قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " كل هذه الأوامر الربانية تتجاهلها العقول المختلة وتأباها النفوس المريضة المعتلة، استنادا إلى أحاديث قد تكون ضعيفة يرجعونها إلى الرسول

الكريم، كالحديث القائل (الدنيا جنة الكفر) وحاشى أن يعارض الرسول ﷺ كلام ربه بالنقيض، فيأمر الرب بالعمل ويدعو النبي إلى الكسل.

وقد جاء في كتاب عبد الرحمن الكواكبي : (أم القوى) عام 1896م أورد فيه حوصلة لحلقات التحاور، والبحث في أسباب رئيسية تمثلت في الدين، السياسة والأخلاق[41]

وهذا يعني أن هذه العناصر الثلاثة لها تأثير بالغ في المجتمعات الإسلامية، وتعتبر المقومات الأساسية لها، وبدونها لا يمكن أن تتقدم تلك البلدان بخطوة واحدة وهذا ما بينه لنا التاريخ فإذا اعترى الدين خلل أثر ذلك على كل من السياسة والأخلاق أو كما قال العالم الإسلامي سعيد النورسي "إن دفع الضلالة والفساد سهل ويسير أن كانت آتية من الجهل، بينما إزالتها أمر عسير جدا إن كانت آتية من العلم، لذا لا يمكن إزالتها، وإنقاذ من تردى فيها من الجبل المقبل[42] والمعروف أن مفكرى العالم الإسلامي وخاصة الطبقات المثقفة منه اتجهت نحو أخذ كل ما يأتي من العالم الغربي، مع انبهارها بمحتوياته سواء كانت إيجابية أو سلبية لذلك أضاعت الأمة الإسلامية عناصر القوة ومؤهلات أخذ مراكز الندية للغرب، لأنها لا يمكنها أن تحاربه بسلاح إنتاجه ويعرف استعمال في الوقت المناسب، لأنها فقدت مقومات الحضارة وأولها فهم القرآن الكريم الداعي الأول لبناء حضاري متكامل .

فالقرآن الذي يعتبر المنهاج العالمي لسبل التحاور بين البشر لم يعرف حاملوه حسن استعماله واتخاذه الوسيلة الأساسية للحوار بين الشعوب، لأن حقيقة القرآن هي في منتهى القوة، وسداد المنطق، قد نجت سائر الأديان من صولة الفلسفة الطبيعية

وتغلبها عليها، وأصبح القرآن نقطة استناد لتلك الأديان حتى حافظت إلى حد ما على أصولها التقليدية والخارجة عن العقل[43]

ويرى المفكر الغربي " آرنولد توينبي " إن الحضارة تنهار داخليا قبل أن تطأها أقدام الغزاة، وأن العامل الرئيسي في انهيارها يكمن في فقدان الأقلية الحاكمة للطاقة المبدعة فيها، إذ تخفق في الاستجابة المناسبة للتحدي القائم، كما أنه رأى أن المحك الحقيقي لتقدم المجتمعات هو الحياة الروحية[44]

حقا أن أوروبا عندما جاءت إلى العالم الإسلامي لم تكن تهدف إلى تحضيره وتمدينه، بل كانت تهدف إلى استعماره، واستغلاله، ومن هنا كانت نظرتها إلى المسلم، نظرتها إلى مصوغ يمكن استغلاله، وليس إلى ذات مفكرة يمكن احترامها وتقديرها، .

وقد قال مالك بن نبي : إن سبب الانحطاط في العالم الإسلامي ليس مرده إلى الاستعمار بل إلى القابلية للاستعمار، لأن الاستعمار لم يكن السبب الأول الغالب لعجز الناس وركودهم، وتقاعسهم في الدول الإسلامية، بل كان من المفروض أن يكون سببا في ايقاض الهمم وتحريك الشعوب المستعمرة نحو التغلب على قابليتها له والنهوض بالقوى الإنسانية الكامنة فيه، للإنتصار في أخر الأمر على التناقضات[45]

فهناك أشياء كثيرة يستطيع أن يقوم بها الفرد لو تخلص من القابلية للاستعمار، ولكنه إذا خضع لها فإنه سيصاب بالشلل وعدم القدرة، متعللا تارة بضراوة وقسوة الاستعمار وضغوطاته وبالظروف تارة أخرى وغيرها من التعليلات والتبريرات التي يجعل منها مسجب يعلق عليها عجزه وتخاذله وعدم رغبته في الحركة والعمل بصورة مؤثرة وإيجابية[46]

فاستعداد الإنسان للخضوع هو الذي يزرع الفوضى، والقلق، والتراجع، لذلك فإن الأسلوب الأمثل هو المتجه نحو تغير الفرد من الداخل، حتى يتمكن من التغلب على أسباب الفتور، والوهن ليتفوق بعدها على أعراض الخمول والكسل ويأخذ عمله طابع التأثير والفعالية، لأن التغيير يبدأ أساسا من الداخل وفقا للمبدأ القرآني الخالد القائل: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[47]

فهذا القانون الرباني المخاطب للعقل والمنطق ينبه إلى ضرورة تفهم السنن الكونية، واتباعها على تقويم الفطرة الإنسانية، وصقلها على إدراك الواقع واستعمال الأيدي والأبصار التي زود بها الناس لتكوين نهضة حقيقية وحضارة مبنية على أسس سليمة.

أسباب التخلف الحضاري :

لقد تميز العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة بالاختلال النفسي والاعتلال الذهني في تركيبته الفردية، والجماعية، وذلك عبر ثلاثة عناصر أساسية في صنع الأمم وهي الحكام والعلماء والجماهير :

1) **الحكام**: يرى المؤرخ البريطاني ارنولند توينبي Arnold Twinby أن الحضارة تبدأ بأقلية مبدعة تسوق الناس على أنغام المزمار بآلية المحاكاة , وتتوقف لتنهار بعد ذلك, عندما تتحول تلك الأقلية المبدعة إلى أقلية مسيطرة تسوق الناس بالسوط , وينشق المجتمع عند ذلك إلى طبقات , ويصاب بالمرض الفرعوني الذي لعنه الله في القرآن [48]

وقد اعتبرت المملكة العثمانية أعظم دولة هم شأنها عامة المسلمين , وقد جاءها أكثر هذا الخلل ودب فيها المرض ابتداءا من القرن التاسع عشر تقريبا[49] أي بعد أن اندفع حكامها لتنظيم أمور بلادهم , وتعطيلهم أصولهم القديمة , بدون أن تحسن التقليد ولا الإبداع, فتشتت حالها عندما ضيعت ثلثا ملكها, وخرب الثلث

الباقي وأشرف على الضياع بفقد الرجال، وصرف السلطان قوة سلطنته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة, واتخاذه سبيل الإصرار على سياسة انفرادية قد أرجعها أحد المؤلفين إلى أسباب سياسية وإدارية تمحورت حول كثير من النقاط الأساسية التي أدت إلى الضعف والاضمحلال تدريجيا .

وقد انتهجت تركيا طريقا مغايرا , والذي أدى بدوره إلى تغيير وجهة العالم الإسلامي برمته عن مسيرته التاريخية الموجود من أجلها عبر قرون عديدة, وحولت قبلتها نحو الغرب, محاولة التوغل فيه بعد تخلي حكامها عن الأصالة وخلع ثوب الإمبراطورية العظيمة والسعي للدخول في المجموعة الأوروبية, وقد أدى الولاء التركي للغرب عن طريق كمال أتاتورك إلى استراد المناهج الأوروبية وصياغة الدستور على المنوال الغربي, بل نقلت القوانين والتشريعات إلى النظام الذي اندمج في التيار الغربي أصبح كيانا منه.

فالعالم الإسلامي نفر من الدولة التركية على حد رأي بديع الزمان النورسي, وبدلا من أن يوليها المحبة أضمر لها العداوة , فتقهقرت أمام الفوضى والإرهاب الذي يتستر تحت عدة ستارات التي تسعى لإبادة العالم الإسلامي وقد كان ذلك سببا في تشتيت الأمة التركية التي كانت قلعة العالم الإسلامي لأن هذه الأمة لا يمكنها الصمود أمام التيارات الخارجية إلا بقوة القرآن(50)

فلم تأمن تركيا مكر الاستعمار الغربي إلا بعد أن سارت على السياسة التي فرضها عليها , وقد كانت مظاهر التخلي تلك، أو عملية الاندماج في النموذج الغربي تتمثل فيما يلي:

- قطع صلة الدولة بالإسلام والعالم الإسلامي.

- إلغاء الخلافة الإسلامية .
- استبدال الدستور القائم على الإسلام.بدستور مدني.

وهكذا أصبح المسلمون يطبقون تعاليم الغرب في مختلف مجالات الحياة بفعل المكر الاستعماري الغربي, وخذلان الحكام المسلمين, ونشاط مراكز التغريب في العالم, وفي مقدمتها الصهيونية, الماركسية, حركة التبشير, وحركة الاستشراق[51]

فبعد ما نجح الاستعمار الأوروبي في تطويق العالم الإسلامي بوسائله المختلفة راح يعزز كيانه ويمرر خططه بكل سهولة عبر الأنظمة الفاسدة القريبة المنال, وتسخير حكامها في خدمة مصالحه بفرض سياسة التجزئة على البلاد العربية ومحاربة أمانيها القومية بكل ضراوة حتى أنه لم يكتفي بذلك بل أقام في قلب الأرض العربية دويلة مصطنعة كانت زائفة, ما نفك يغذيها بالمال والسلاح ويدعمها سياسيا وعسكريا, واقتصاديا, حتى نمت وتضخمت وباتت أخطبوطا جاثما على كيان الأمة العربية المتشتتة, بفعل قيادتها وأولوا الأمر فيها , وراح الغرب يحرضها عند كل مناسبة ويزين لها العداون راميا إلى إذلال الكرامة العربية الإسلامية[52]

2-العلماء: إن الإنسانية تتحد حول المعتقد الديني الواحد فإذا ما لا حظت اختلاف الرأي، وفيه تشتت الأفكار وانبثاق مذاهب متصارعة، اعترى الطبقة العامة منها الفتور والانصراف عن ذلك المعتقد والممارسة الدينية السابقة وبذلك نكون بصدد البعد عن الدين

وقد كان أحد أسباب تخلف المجتمعات الإسلامية انقسام ذوو العلم إلى ملل، وفرق، مثلت الإسلام سوء تمثيل، بقلة الاحتفاء بالعلوم المفيدة من جهة، وغلق باب الاجتهاد أمام التطور الفكري وفقا للصراعات المذهبية المضنية من جهة أخرى .

وإلى جانب تباعد العلماء المسلمين عن العلوم المادية كانت هذه الطبقة تمثل صورتين أو صنفين، هناك عالم ظالم يخدم بعلمه الحاكم لنيل المكافأة، وهناك عالم مظلوم يقف في صف المحكوم يسخر علمه للنهوض بالأمة فينال الإقصاء والحرمان.

فكثيرا ما عانت الشعوب الإسلامية من ضلالة علمائها، فهناك مدن زالت أو كادت أن تزول من غطرسة الاستبداد السياسي وتزكية العلماء وصمتهم في قول كلمة الحق أمام حاكم مستبد(53)

3- الجماهير: الأمة مسؤولة عن الوضعية المزرية التي آلت إليها، ولو كان وراء المفسدين أمة يخشونها ما تجاسروا على الاتجار بدينها، بعد الاتجار بدنياها، بل هناك ممن لو اقترح عليهم الأعداء اقتراحا مضرا بملتهم، وأمنهم ولم يقدروا على ردهم اعتزلوا مناصبهم ولزموا بيوتهم، وإذ أبى الخلف ما أباه السلف مرة بعد مرة علم العدو أن لا فائدة في إصرارهم سببه استظهارهم بأناس ممن يزعمون أنهم مسلمون، فهم يهدمون الإسلام بمعاول في أيدي أبنائه(54)

وقد نبه رب العباد في قوله :" ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " .

فالاستعمار يستغل جهد الجماهير لينشئ حول فكرة الصراع منطقة فراغ وصمت، لعزلها عن المجتمع وهكذا حتى يصل إلى أحط المستويات ليستخدم سلاح المال، إذ يكون لنفسه بهذه الوسيلة صداقات، أو كما يعبرون عنها بلغة الحرب اتفاقات تساعد على توجيه هجمات محكمة في الوقت المناسب على بعض القطاعات من الجهة الفكرية(55)

فتزول الشعوب الإسلامية إلى الدرك الأسفل والنتائج الوخيمة التي وصلت إليها المستويات الجماهرية من انحطاط يعود إلى فقدان الحرية ربما، وإلى ظاهرة الاستعباد، والاستبداد، والذل والهوان، التي الفتها أقوام كثيرة لسنين طويلة فصار التأخر طبعا تسوءهم مفارقته .

فكثيرة هي الفئات المسلمة التي رسخ في أذهانها، وقلوبها، بأن الغرب أعلى منها شأنا في كل شئ، وأنه لا سبيل لمضاهاتهم أو التغلب عليهم مهما كانت المقاومة والتصدي .

أزمة التحدي الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب

تمتاز النخب العلمية والفكرية في المجتمعات الغربية والأمريكية بنظرة أحادية ضيقة تهمش الآخر وتلغي تواجده الحضاري، وخصائصه الثقافية من معادلة الأخذ والعطاء، تقابلها في الطرف الآخر نخب ومجموعات منها المتأثرة بعوالمها المحلية، ومنها من تعيش حالة الانبهار بالآخر، فإن لم تصل تلك النخب إلى وضع معرفي وعلمي سليم يساعد على ردم الهوة الفاصلة بين الطرفين، فإن البحث عن حوار بينها وبين الآخر سيظل مجرد أماني مما، يستلزم إعداد وتكوين النخب المتعلمة المستعدة للحوار مع الآخر شريطة أن تكون متشبعة بخصائص ثقافتها، الوطنية، والدينية، والقومية، وفي الوقت نفسه محصنة أمام الهزات والصدمات الحضارية لتكون قادرة ومستعدة للتعايش مع ثقافتين متباينتين، المحلة العالمية[56]

وقد سعى رجال السياسة في الغرب إلى تخويف الشعوب الغربية من سلسلة الأحداث المتلاحقة في العالمين العربي والإسلامي خلال العقود الماضية ، وفي مقدمتها الانقلابات العسكرية والانقلابات المضادة في الأنظمية السياسية العربية الإسلامية، وأشاروا إلى الخطر المحدق بالحضارة الغربية، حيث ظربوا في ذلك مثال حظر النفط

العربي سنة 1973، وكذا مقدرة المسلمين الأفغان على هزم الإمبراطورية الروسية، وكذا نجاح الثورة الإسلامية في إيران، وكذا الانقلاب الإسلامي في السودان الذي قاده محمد سوار الذهب، وكذا تصاعد الإسلام السياسي في العديد من الدول الإسلامية، وحتى حرب الخليج التي كانت أمريكا مهندستها الأولى وبتصويرها لأولئك الذين يقومون بعمليات استشهادية ردا على الإرهاب الإسرائيلي في فلسطين على أنها ستصبح ثقافة سياسية تخشى كل الدول امتدادها إليها، وقد وصف كل عمل إرهابي داخل الدول الغربية على أنه من صنع الإسلام، ويقف وراءه إرهابيون إسلاميون[57]

فالغرب يهاجم الإسلام، ويتحدى كل عمل إسلامي لأنه يرى في الإسلام خروجا على مسيحيته مما يمكن أن يؤدي إلى شئ من الصراع الحضاري، في حين لا يرى المسلمون ضرورة لهذا الصدام، على أساس من الدين لأن الأصل في الإسلام أنه لا إكراه في الدين .

ومن هنا فإنه في الوقت الذي تقرر فيه سماحة الإسلام أن يترك لكل إنسان حرية التدين بعد البلاغ المناسب له يحاول الغرب تنصير مسلمي العالم بالإكراه، أو بالمساومة على الدين في حالة الأزمات، والحاجة إلى لقمة العيش، أو قطرة دواء، أو خيمة الإيواء[58]

فالغرب إذن يتحدى المسلمين عندما يخوف الشعوب من الإسلام ساعيا من وراء ذلك الأهداف :

-تشويه صورة الإسلام وإيجاد المبررات لضرب كل عمل إسلامي، وهذا ما دعى الغرب في الآونة الأخيرة من اعتبار الجمعيات الإسلامية جمعيات ترعى الإرهاب .

- ضرب أية حركة إسلامية في أي مكان وفي أي زمان .

-حرمان مختلف الدول الإسلامية من حق التسلح للدفاع عن النفس وإعطاء الدول الكبرى الحق في التفتيش في معامل ومصانع دول العالم الإسلامي، ومراقبة عمليات التسلح .

حتى لا تستطيع امتلاك ما من شأنه تهديد الغرب، أو استعادة دورها بين بقية الأمم،لتبقى الأرض الإسلامية حكرا للغرب يستغلها كما يشاء، ويعيش بذلك العالم الإسلامي على فتات الغرب، من خلال التبعية لأسواقه الاستهلاكية على مختلف أنواعها[59]

إننا أمام معادلة طرفاها حضارتين تتشابهان اليوم بالضدية، وباستعداد حضارة الدم لافتراس حضارة الماء وتلويثها، ومن الخطأ الاعتقاد بأن معطيات النظام الدولي المسمى بالجديد والذي مازال قيد التشكل هو قدر لا مفر منه، ذلك أن النظام العالمي بشكله الحالي يقوم على خلل كبير يتمثل في كون أهم ملامحه قيامه على مبدأ توازن المصالح بدلا من توازن القوى، الذي كان يرتكز عليه بالأساس النظام الدولي القديم ويعنى ذلك نقل مجالات التنافس والحروب إلى الميدان الاقتصادي الذي فلح فيه الغرب إلى درجة الهيمنة المطلقة[60]

الخاتمة :

لقد اكتسبت العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الباردة طابع الهيمنة والتبعية بين البلدان الضعيفة والبلدان القوية، أو ما يعرف بالشمال جنوب، أو بمفهوم آخر ألا وهو صراع الحضارات، أو الحوار الحضاري بين العالم الإسلامي والغربي، فأضحى الإسلام محل تلاعبات دولية في ظل الحروب، والتنافس السياسي على الصعيد الداخلي للدول المتخلفة، إذ استعمل الغرب كل الأوراق التي تمكنه من

تمديد الأزمات داخل المجتمعات العربية والإسلامية، للمحافظة على الولاء والتبعية، وفرض الهيمنة لمدة أطول، فلذا لا يمكن اعتبار العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم الغربي علاقة حوار متكافئ، بل هو حوار القوي بفرض شروطه وخططه وبرامجه المذعنة في معظم الأوقات، والمرهقة للدول المتخلفة التي ليست أهلا إلى حد الآن إلى نعت نفسها بالمتحاور الندي، الذي يحمل نفس المعطيات والتي يتمتع بها من هو أقوى منه، ويبقى الجدال قائما حول ما إن كانت العلاقات الدولية بين هذين العالمين المتناقضين تقوم فعلا على أسس الحوار، بمعطياته، وشروطه الملائمة، أم أنه صراع محتدم، كما نادى به بقوة المؤلف هنتغتون .

إن بناء المستقبل يتطلب من العالم الإسلامي، والعالم الغربي فهم كل منهما للآخر، فهما بعيد عن التعصب والنظرة الدونية التي رسمها المستشرقون بالدرجة الأولى، والايديلوجية الجديدة للعالم الغربي إزاء الآخرين، ووصمة الأصولية والإرهاب التي ألصقتها وسائل الإعلام الغربية بالعالم الإسلامي وهذا هو منطلق الصراع الحضاري في ظل ما يعرف بالعولمة .

الهوامش

1-د.عمر بوقرورة – في حوار الحضارات أسئلة الحوار بحث في ظل الإرباك الجمعي – مجلة الإحياء عدد السادس 2002-ص 102

2-د.عمر بوقرورة بتصرف المرجع نفسه.

3- مالك بن نبي شروط النهضة –ص 23

4-عمر بوقرورة ص 104

5-د. عمر بوقرورة_ ص 106

6-محاضرات في حوار الحضارات_ كتاب الثقافة الإسلامية ط1-المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانيـــة دمشق 2001 ص27 .

7-د عبد العالي دبله- د بلقاسم سلاطنية الإسلام والغرب من حوار الثقافات إلى صدام الحضارات مجلة الإحياء العـدد السادس 2002 ص 135

8-د.عبد العالي دبله – المرجع نفسه ص 136 .

9-د. أحمد جاب الله – الخصوصيات الثقافية وموقعها في الحوار بين الحضارات – مجلـــة الإحيـــاء ع 6-2002 ص 161

10-د. مسعود ظاهر –صدام الحضارات، ارتباك الخائفين وصلابة القادرين – مجلة العربي ع 452 –1996-ص 28

11-أبو الأعلى المودودي – نحن والحضارة الغربية دار الشهاب 1988 –ص 43

12-أبو الأعلى المودودي – المرجع نفسه – ص 44

13-أبو الأعلى المودودي – المرجع نفسه –ص 22

14-فرنسيس فوكوياما – ترجمة وتعليق د .حسين الشيخ – نهاية التاريخ والإنسان الأخير –دار العلوم العربية بـيروت 1993 –ص 11

15-أبو الأعلى المودودي المرجع نفسه –ص 38

16-فرنسيس فوكوياما – المرجع نفس ص 7

17-فرنسيس فوكوياما – المرجع نفسه ص 8

18-فرنسيس فوكوياما – المرجع نفسه ص 9

19- Dominique et Michel Frémy – Quid (Robert Lafont) article – tiersmonde –edition 1992 p 1681 .

20-عمر اسماعيل سعدالله – القانون الدولي للتنمية – المؤسسة الوطنية للكتاب – ديوان ومطبوعات الجامعية الجزائرية ط 1990 –ص 133

21- Gaston Bouthol – la surpopulation – petite bibliotheque damot- 1964 p-226-227.

22- Dominique et Michel Frémy – opcit –p 1681

23- Opcit –p 1681

24- Jacques Bourrinet et Maurice Flory – l'ordre alimentaire mondial – unversité AIX marseille economica 1982 p 216

25-عبد العالي دبلة المرجع السابق ص 140

26-صمويل عبود – خمس مشكلات لعالم متخلف – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 1986 ص 7

27-حمدي عبد الرحمان آل ثاني – دول الخليج العربي هل هي على الطريق الصحيح للتنمية – مجلة العربي عـدد 450 – 1996 ص 34

28- Mahfoud Bennoune – l'an 2000 du tiers monde – office des publications universitaire – benaknoun Alger 1985-p 140.
29- Mohamed dahmani – l'occidentation des pays du tiers monde – office des publcations universitaire – benaknoun Alger 1985 p 140
30- Samir Amine- accumulation à l'echelle mondiale – union générale 472-d'edition 1970 p 471
31- Samir Amine- la crise de l' emperialisme – edition de minuit 1975 p 189
32- Samir Amine –opcit p 472
33- Mahfoud Bennoune – opcit p 143
34- Opcit p 212
35- Louis – les hommes de l'islam approche des mentalités –edition complexe –librairie hachette 1977 p 80
36- مصطفى الرافعي – الاسلام انطلاق لا جمود –منشورات دار مكتبة الحياة ص 153
37- عبد الله التل – الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام – قصر الكتاب البليدة الجزائر 1989ص75
38- بديع الزمان النورسي – رسائل النور – ص 53
39- خالص جبلي – الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي – نظرة تحليلية – الفيصل العدد 235 –1996 ص 58 .
40- شكيب أرسلان – لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم – موفم للنشر، سلسلة أنيس 1990 ص 74
41- عبد الرحمان الكواكبي – أم القرى – دار الرائد العربي ص 106
42- بديع الزمان النورسي – المرجع السابق ص 60
43- بديع الزمان النورسي – المرجع نفسه ص 33
44- محمد عبد السلام الجفائري – مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي – دار العربية للكتاب 1984 ص 174.
45- عبد السلام الجفائري – المرجع نفسه ص 12
46- خيرالدين حبيب – مستقبل الأمة العربية، التحديات والخيارات – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1988- ص 64
47- سورة الرعد آية 21
48- محمد عبد المنعم خفاجي – الاسلام والحضارة الانسانية – دار الكتاب اللبناني بيروت ص 227
49- خالص جبلي المرجع السابق ص 61
50- بديع الزمان النورسي- المرجع السابق ص 53-54
51- عبد المنعم خفاجي المرجع السابق ص 234
52- عبد الرحمان الكواكبي- المرجع السابق ص 30

53-محمد الغزالي – علل وأودية – ص 185
54-شكيب آرسلان – المرجع السابق ص 54
55-مالك بن نبي – الصراع الفكري في البلدان المستعمرة – دار الفكر دمشق 1988 ص12
56-عبد الكاظم العبودي – حول حوار الحضارات النخب الغربية ستغير نظرتها للأخر – جريدة الخبر عدد 4069 –2004 ص 19.
57-د. محمد عوض الهزايمة – الإرهاب بين حضارتين – مجلة كلية العلوم الإسلامية – الصراط- السنة الثالثة –ع 6–2002 ص 243
58-محمد عوض الهزايمة – المرجع السابق ص 244 .
59-عبد القادر رزيق المخادمي – النظام الدولي الجديد الثابت والمتغير – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1999 ص 65
60-محمد عوض الهزايمة – المرجع السابق ص 244 .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

"سورة البقرة، الآية 143"